

الأسباب الثقافية للمرض بل سناحول التطرق إلى بعضها مما أتيح لنا التعرف عليه في محاولة للكشف عن الدور الفعال الذي تؤديه الأسباب الثقافية في الصحة والمرض. أيضا طريقة تغيير التنظيم، أي أنها تجريد للسلوك المكتسب الجماعة من الناس يتقاسمون تقليدا مشتركا ينقلونه إلى أطفالهم وشبابهم (٢) وكل مجتمع ثقافة خاصة به تميزه عن غيره وتمكننا من التفرقة بين المجتمعات التقليدية أو الغربية على السواء، كالتفرق بين إنجلترا وفرنسا أو غيرهما، توجد أيضا ثقافات فرعية تنبثق من الثقافة الكلية تعكس اختلافات في بعض المظاهر عن النمط الكلى وليس الكل فمثلا مصطلح (الطبقة العليا - العليا) في الولايات المتحدة المقصود به صفة وقمة المجتمع ولهم خصائص معينة منها الإقامة في مناطق معينة، لهم أسلوبهم في التحدث، وسنعرض لبعض العوامل الثقافية دورها في ١ - الحضارة والمدنية ومرت الحضارة بتطورات هائلة لأبد أنها أثرت على حدوث المرض بين أجدادنا وأسلافنا، وأنقرض أو قل كثير من المخاطر. الصحة والمرض. أـ - الطعام: هناك عدة عوامل أدت إلى الحرمان من الحد الأدنى للطعام الذي يعوض عن الطاقة التي بذلها الإنسان في العمل - وبالتالي تقل مقاومة الإنسان للمرض، وتعتبر المجاعة أرضا خصبة لنشأة كثير من الأمراض منها الأوديما (مياه تحت الجلي - استنساء الجلد) Oedemas وإضعاف مقاومة بعض الشعوب - التي حدثت فيها هذه المجاعات - للمرض، وأدت المجاعات الحديثة كالمجاعة الروسية في سنة ١٩٢١ إلى هجرة الشعوب للبحث عن الطعام، ومن أمثلة تلك الهجرات هجرة القبائل герمانية إلى إيطاليا في القرن الخامس، في روسيا تحدث المجاعة كل عشر سنوات، وفي الهند قتلت المجاعة في عام ١٧٧٠ ثلث سكان بنغال Bengal ، والجفاف الذي حدث أيضا في الثمانينيات في القرن العشرين وما ترتبت عليه من حدوث مجاعات في بلدان كثيرة في إفريقيا ومثال ذلك اضطرار سكان أثيوبيا () إلى الهجرة إلى حدود السودان سيرا في الأقدام بعد أن استحالات الحياة على أرض جدياء لا يتوفّر بها الحد الأدنى من الطعام والماء، واهتز العالم لهذه المجاعة وبادر بتقديم المعونات. وتعتمد الصومال أيضا على الأمطار ومن ثم فإن النقص في كمية المطر أو ندرته تهدد الحياة البشرية والحيوانية والتربوية بالصومال بالقطيعة (١) وعندما تتكرر فترات الجفاف كما حدث الآن (١٩٨٥) تضطرّهم إلى التنقل والترحال، وتمثل الحروب أحد مظاهر المدنية والحضارة وتعد أيضا أحد عوامل حرمان الشعوب وإنشار سوء التغذية فقد كانت باريس تموت جوعا في سنة ١٩٧١ بسبب الحرب إلى إنجلترا والاستخدام الخاطئ لبعض مظاهر الحياة الحضرية. بالإضافة إلى طبيعة الحياة المعاصرة التي تعد أحد العوامل المهيأة لظهور كثير من الأمراض (١) وتتسنم مظاهر الحياة الحديثة على العموم بالتواتر العصبي واضطراب الأعصاب ومشاعر القلق والانفعال. فالحياة في مجتمع متحضر وعلى سبيل المثال في فرنسا تؤدي إلى نوع من الإجهاد الذي يقلل قدرة الجسم على المقاومة ويؤدي إلى زيادة قابلية واستعداده لأمراض معينة لأن الأجسام لم تعد تحتمل أو تقاوم لأنها مجدهة ومتعبة. بـ أسلوب وطريقة الحياة قد يؤدى اتباع الناس لأسلوب خاطئ في الحياة إلى زيادة انتشار وانطلاق الجراثيم والميكروبات المسبب الجانب الثاني: المدينة. الجانب الثالث: تندثر بعض الأمراض وتتفرض باختفاء خصائص معينة خاصة بأسلوب معيشة أو طريقة حياة، فطريقة الحياة تؤثر على شكل الأمراض وتوزيعها (١) فالمناطق المزدحمة والمملوكة بالسكان والتي ليس بها مرافق عامة كافية وانتشار القاذورات في الشوارع والبرك يؤدي إلى تكاثر الذباب والناموس الذي ينقل كثيرا من الأمراض. هناك أيضا علاقة إيجابية بين طريقة الحياة والصحة تأخذ أشكالا ثلاثة: الشكل الأول: (١) هيرتسليش كلودين؛ الصحة والمرض: تحليل نفسي اجتماعي؛ ص ٢٤-١٩. الشكل الثاني: الوقاية منه أو إيقافه. الشكل الثالث: (٢) إنقاوص معدل الوفيات بين الصغار (١) ومع ذلك لم يصل الطلب إلى الفاعلية المطلقة في علاج بعض الأمراض أحوال مرضية مكن تفسيرها وإرجاعها إلى طريقة الحياة وليس إلى السلالات، يدل على ذلك أن نسبة الوفيات الناتجة عن مرض السكر بين السلالات البيضاء عالية ويرجع ذلك إلى أنهم يتمتعون بطعم جيد مع عدم ممارستهم للرياضة أكثر مما بين السود، أي أن المرض يتعلق بالأسباب الطبيعية (الغذاء والرياضة وليس للسلالة. ونجد وباء الطاعون يهاجم الآسيويين أكثر من الأوروبيين الذين يعيشون في الشرق الأقصى وغالبا ما يصاب اليهود الأوروبيين بالتهاب المفاصل لاشتغالهم بوظائف، طويلة (١). يرجع ذلك إلى عادات خاصة في الحياة في الصين ينتشر مرض سرطان الظهر عند منفصل الفخذ Hips نتيجة احتكاك ذلك الجزء من الجسم مع السرير المبني من الطوب (٢) وهذا يكشف الدور الذي تلعبه طريقة الحياة في ظهور بعض الأمراض. ج الملابس تعد الملابس أحد مظاهر الحضارة والمدنية وترتبط بطريقة الحياة وأسلوبها أيضا في كل مجتمع طبقا لظروفه الطقسية، وفي المناطق المعتدلة ترتدي الملابس لحفظ أجزاء معينة من الجسم. وعن طريق الملابس يمكن التمييز بين سلالات وأجناس معينة وبين شعوب وبعضها. فالزمي العربي مختلف عن الزماني وهكذا. تأثير الملابس على الصحة: هناك بعض العادات يتمسك بها الناس مثل قلائد الزينة (الأساور والحلق) يؤدى ببعضها على حساسية في أجزاء الجسم التي تلامسها لدى بعض الناس.

فهو يضغط على عضلات البطن والجزء السفلي للصدر مما يعوق التنفس بشكل خطير ويتسبب في تغيير شكل الكبد، وبالمثل يضغط رباط الجورب على الساق أعلى الركبة أو أسفلها على الأوردة ويساهم في إصابة بعض النساء اللاتي لديهن استعداد للإصابة بمرض الدوالى. ولكن إذا استخدمت الملابس بطريقة سليمة فهى تحمى الجسم من الظروف والعوامل الجوية (١) والكعب العالى له أثر خطير لأنه يجعل وزن الجسم بأكمله لا يرتكز على القدم بل على جزء صغير منه. وإذا كان مزدحماً تعتبر عاملًا منشطاً للأمراض ونقل العدوى. السابع عشر (١). أي أن طرق الحياة الحديثة وأساليبها التي يتبعها البشر واستخدام الوسائل الحضرية الحديثة له أثر فعال إما في الوقاية من المرض إذا استخدمت بطريقة صحيحة وأما أنها أدت إلى ظهور أمراض معينة أو ساعدت على ظهور أمراض أخرى. أمراض الحياة العصرية وهناك بعض الأمراض يمكن اعتبارها من أمراض الحياة العصرية أو أمراض الحضارة الحديثة لأنها أكثر حدوثاً وتكراراً عن ذي قبل هي بالذات (١) السرطان يضم كلودين إلى أمراض الحياة العصرية التي تتسم بالتوتر العصبي والانفعال الفيزيقي الذي يسود المدن ويرجعه إلى انتشار الهواء الملوث (١) ويؤكد كثيرون أن السرطان أحد أمراض البيئة الصناعية أو التلوث البيئي (٢). ٢) الأمراض العقلية: الاضطراب العقلي Mental Disorder ترتبط بالحياة المعاصرة غير المستقرة، والأفكار التي لم يتم التعبير عنها تظهر في صورة أمراض سيكوسوماتية، وهذه الحالات النفسية المثلثة بالتوترات لها أثر هام في ظهور الكبد، بالإضافة إلى الأمراض العقلية فإذا أصيب الشخص بخوف بالإضافة إلى التوتر والانفعال العميق، تظهر حينئذ علامات الإصفرار على وجهه الذي بعد علامات بداية مرض الكبد. كما ينشأ مرض الاكتئاب في رأى ميكانيك عن ضغوط الحياة المعاصرة (٣). تجلب الحياة الحديثة كثيراً من القلق والتension العصبي وخاصة تلك التي ترتبط بالمهنة كما سنرى فيما بعد. وهذا من شأنه أن يؤثر على مرض القلب. ٤) مرض (إيدز) Aids ويسبب هذا المرض فيروس يصيب جهاز المناعة ولم يتوصلا العلماء إلى هذا الفيروس فما زال مجهولاً وتعقبه مجموعة من الأعراض المتزامنة يقسمها العلماء إلى فئتين الفتة الأولى: أورام سرطانية كسرطان الجهاز الليمفاوي وأورام السركوما. الفتة الثانية: وهناك أربع مجموعات تعد أكثر تعرضًا للإصابة ١) أصحاب الشذوذ الجنسي من الرجال (٧٥٪ من الإصابات). ٣) الشخص النعور ذو النزعات الوراثية إلى النزف (يقال عرق ناعور أو جرح ناعور أي الشخص الذي لا يسكن دمه ولا يجف ، بمعنى آخر الشخص المصابة بنزف مستمر (١). ٤) أبناء جزر هايفي (اللواطبيين). هذه الأمراض موضوع حديث البشر في العصر الحاضر وهي أكثر الأمراض التي يخشاها جميع الناس. ٢ - العادات الغذائية: هناك فرق بين الغذاء والطعام، فالغذاء مفهوم علمي أو مادة عضوية تغذي الكائن الذي يستهلكها وتبقىه في صحة جيدة، ومن الصعب تغييرها أو تعديلها وتكون خطورتها إذا كانت غير صحيحة، ولا ترجع مظاهر سوء التغذية إلى الحرمان الاقتصادي بقدر ما ترجع إلى العادات الغذائية الخاطئة وإلى الإصرار على تناول عناصر معروفة القيمة الغذائية. فالوجبة غير الكاملة لا تقود إلى المرض فوراً ولكنها تمهد الطريق لنمو الأمراض. فقلة الغذاء وسوء اختيار المواد الغذائية أو خلوها من الفيتامينات يسبب إ衲اك الأجسام ويضعف من قوتها ويقلل من مناعتها. هناك أيضاً أنواع من الأطعمة تحتوى على مواد مضادة لنمو الميكروبات. وبالنسبة للمتوافقة المتزنة. على أن يكون الجسم قادرًا على استخدامها لتفادي بالغرض المطلوب منها (١) أما مصطلح سوء التغذية فكان يطلق على الأعراض الناجمة عن نقص كمية الغذاء أو نقص بعض العناصر الغذائية، فلا يصاب بسوء التغذية إلا الفقير، وسوء التغذية بمعناه الواسع (عدم مطابقة الغذاء لشروط التغذية الكاملة كما وكيفاً أو من حيث النوع والمقدار) (٢) وتعنى لدى بعض العلماء (الوجبات الضعيفة) التي تتكون من خبز القمح والبلح وينقصها العديد من الفيتامينات الضرورية (١) وتعنى عند فيشين (نقص العناصر الأساسية للوجبة المتوازنة التي تشتمل على نسب معينة من البروتين، الكربوهيدرات والفيتامينات والمعادن الأساسية) (٢) ويؤثر سوء التغذية مباشرة على السلوك البشري فيعوق النمو العقلي، وفي بعض الحالات تمثل الأنماط الثقافية استجابات لسوء التكيف البيولوجي. وكشف فولك Foulk's في دراسة حديثة عن العلاقة بين نقص الكالسيوم وبين سلوك الإسكيمو فوجد أن متوسط الكالسيوم في الدم بين الإسكيمو الذين يقطنون شمال ألاسكا منخفض بطريقة ظاهرة، فالحالة الفسيولوجية والنظام الثقافي والانفعالية ينجم عنها هستيريا المناطق الشمالية، وهذا التغير في الأوضاع العقلية تغيراً مؤقتاً ويتميز بأنه ذو أصل ثقافي موروث وهو ما يعرف بالشaman فهناك علاقة بين البيئة والسلوك والثقافة. ويؤثر على كل من السلوك والحالة النفسية، والنسل الثقافي بدوريه يتشكل ويشكل السلوك النفسي (١). وهناك دراسات أخرى كشفت عن العلاقة بين الطاقات الصحية والعقلية لطلاب الجامعات الإنجليزية كأكسفورد وكامبريدج وبين وسائل تعذيبهم (٢) ويؤكد البعض الآخر أن سوء التغذية الحاد يتسبب في إضطراب العقل وضعف الفكر عن الأطفال (٣) واكتشف والاس Wallace أن الأطعمة المفتقرة إلى الكالسيوم وخاصة فيتامين (دال) بالإضافة إلى القيود التي تفرض ارتداء ملابس كاملة تغطي الجسم بأكمله مسؤولة عن زيادة

انتشار كساح الأطفال Rickets ولين العظام (4) وتمنع كذلك العادات الثقافية والاجتماعية نساء البدو الذين يقطنون صحراء Negev من التعرض لأشعة الشمس، وتدفعهم لقضاء معظم وقتهن داخل المنازل أو في الخباء (الخيام) وحتى في حالة خروجهن يغطين كل أجسامهن بملابس داكنة مما يؤدى إلى إصابة معظمهن بلين العظام النقص ويرجع انتشارها في رأى سببها إلى سببين السبب الأول اجتماعي يتمثل في الهروب من متابعة الحياة والثاني اقتصادي أي الفقر، ونجد أنها تنتشر أيضاً بين الطبقات المتعلمة تعليماً عالياً كرغبة لاستعادة النشاط، والتغويض عن الحياة ذات الوليرة اليومية والإجهاد اليومي. وفي أماكن أخرى من العالم، فسوء التغذية لا يرجع إلى الحرمان الاقتصادي فحسب بل يرجع أيضاً إلى الجهل وعدم معرفة العناصر الضرورية أو الإصرار على إتباع عادات سيئة كالماء والكحوليات مما له آثار بيولوجية وفسيولوجية على التطور النفسي والعصبي بدون شك (١). يؤدى الإفراط الزائد في الأغذية إلى ارتفاع الضغط والأزمات القلبية وزيادة نسبة الكوليسترول، وبالتالي يؤدى إلى تصلب شرايين القلب والرأس معاً. وأنه يرجح أن مرض Minemate زيادة نسبة المعادن في اليابان يرجع لتلوث مياه البحر بالزنبق مما يحدث أضراراً جسيمة بالجهاز العصبي لهؤلاء الذين يأكلون السمك الملوث (٢). أمراض الطبقة: وتحتاج الأمراض التي تنشأ عن سوء التغذية عند الفقير عن الأمراض التي تصيب الأغنياء، فالطبقات الفقيرة أكثر الناس تعرضها للأمراض سوء التغذية من حيث الكم أو العدد، فالأمراض التي تصيب الفقراء ليست من النوع المستعصي ويمكن علاجها بتحسين الغذاء لأن المرأة يتتبه لأعراضها بسرعة، أما الأغنياء، فالإفراط في تناول الأطعمة البروتينية والدهنية قد لا تظهر أضراره إلا بعد فترة طويلة وبعد عدد من السنوات، ثم تظهر أعراضه فجأة في صورة أمراض متصلة في خلايا الجسم وأنسجته مثل النقرس وارتفاع ضغط الدم وتصلب الشرايين وأمراض القلب والكبد والكلوي والحموضة واضطراب الهضم والبول السكري والبدانة. وفي نفس الوقت لا يحصلون على مقدار كافٍ من اللحوم أو البيض، فقلة الطعام وعدم جودته تؤدي إلى الهزال والضعف ولين العظام والكساح والأنيميا والبلاجرا وضعف المناعة وضعف الطاقة الجنسية والنزلات الشعبية والدرن (٣) والشعوب التي تعتمد على نوع واحد في غذائها تنتشر فيها وسوء تغذية الأنسجة أو الخلايا في الجسم عامة يسبب نقص مادة معينة في الغذاء هي سبب معظم الأمراض التي لا يكون الميكروب سبباً لها، حدوث تقرحات في الجهاز الهضمي (الأثنى عشر)، ولا تتوقف أهمية التغذية على مقاومة الأمراض فقط بل أنها تعتبر عاملاً أساسياً لتقدير الشعوب وقدرتها على الإنتاج